RIMAK International Journal of Humanities and Social Sciences
ISSN: 2717-8293
Volume 5, Issue 5, September 2023

Received: 23/07/2023 **Accepted:** 16/08/2023 **Published:** 01/09/2023

A COMPARISON BETWEEN THE CANAANITE AND SAWIAN CIVILIZATIONS

Alhadj Mohamed ABDALLAH [1]
Dr., Higher Institute for Teacher Training, Chad.
Abu Bakr Abdel-Rahim MOHAMED
Dr., Higher Institute for Teacher Training, Chad.

Abstract:

The planning and construction of ancient dwellings are the most attractive things, as they are considered a picturesque civilization that one can experience. This demonstrates the ancient heritage of these nations who worked and are among the historical origins of the archaeological world. The different stages are basic elements of the study of archaeological science. They give us approximately the true images of the history of ancient cities such as the period and manner of their constitution, as well as those of the materials with which they were built. In this context, a similarity appears in the contribution of the two heritages of the Sao and the canon in many aspects such as cultural and industrial. The work thus appears in both and the researcher encounters certain problems which make them tired of approaching in order to highlight their objective in the context of origins and references. The process of creating cities, temples, forts and walls on the outskirts of everything on the four cardinal points is intended for protection against attacks from external enemies, but the recognition of the Sao and Canonical cities is also that of the existence of small autonomous towns independent of each other; each having its own way of managing itself, without external intervention. The Phoenician peoples discovered trade through their navigation of the oceans in a very ancient era due to the small area of their cultivable land. In the meantime, the Sao people were preoccupied with agriculture and the manufacture of metals and pottery based on fired ceramics and clay without commercializing it. Thus, the Sao people and civilization is called The civilization of pottery (clay). Both civilizations are represented by the mode of burial of their dead in rough pottery jars not showing the facial features in their entirety, but orienting the face towards the sun. Thus, alluding to the power of the sun, they make human sacrifices to repel epidemics and disasters, whether

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.25.31

[1] dralhadj2021@gmail.com

internal or external. This practice shows their belief in resurrection after death, hence the burial of their dead with all the material belonging to and having served the deceased before their death. The Canaanite civilization arrived in Chad from different points; and different palpable evidence proves its existence in certain regions and zones of Chad, particularly Sahelian including those of Abéché, Arada and its surroundings like the effect of embers. The Sao people have mastered the technique of heating metals and the high temperature that lead to the melting of iron, their specialty. The word Sao is of Amharic origin and means “Human”. This people experienced unrest at the time of the ancient empire of 3500-2000 BC, having motivated the people to obtain privileges long reserved for the pharaohs. Likewise, in the middle dynasty of 2000 -1580 B.C., Pharaoh Amen Haout I from the south led wars against the Amalike Arab tribes coming from Asia and expelled them in 1700 B.C. During these invasions and upheavals, the Amalike tribes were able to invade Egypt and establish Dynasties ranging from the XIVth to the XVIIth. Other views revealed that the Egyptians attempted to penetrate deep into the African continent along the Nile to the Fourth Cataract. They would also have diverted access and incursion towards the Lake Chad Basin through the ancient valleys on the left bank of the Nile.

Key Words: The Canaanite and Sawian Civilizations, Sao, So.

مقارنة بين الحضارتين الساوية والكنعانية

أبوبكر عبد الرحيم محمد الضي

د.، وزارة التعليم العالي والبحث والابتكار، تشاد

الحاج محمد عبد الله

د.، وزارة التعليم العالي والبحث والابتكار، تشاد

الملخص:

من الأمور التي يهتم بها أي باحث هو تخطيط المدينة وبناء المنازل القديمة باعتبارهما من المناظر الحضارية التي تكشف عن تراث الماضي لتلك الأمم التي قامت بهذا العمل الذي يعد دائماً من أهم المصادر التاريخية لعلم الآثار، والعمارة تعتبر من المعالم الظاهرة التي تعد من ضمن المراجع الأساسية لدراسة علم الآثار، إذ أنها تعطينا الصورة الحقيقية الكاملة لتاريخ هذه المدن تقريباً، متى أنشئت وبأي طريقة بنيت ومن أي مادة تم بنائها.

يتمثل في اشتراك الحضارتين الساوية والكنعانية في كثير من العوامل الثقافية والصناعية التي قامت في كليهما، كما يواجه الباحث بعض المشاكل التي تجعله عاجزاً عن تحقيق هدفه في ميدان المصادر والمراجع.

عملية إنشاء المدن والقلاع والحصون والأسوار التي تحيط بالمدن من جميع الاتجاهات الأربعة وذلك من أجل حمايتهم من صولات وهجمات الأعداء الخارجية وعرفت المدن الساوية والكنعانية بالمدن الصغيرة المستقلة عن بعضها البعض ولكل مدينة نظامها الخاص بها دون تدخل الأخرى في شؤونها الداخلية.

عرف الشعب الكنعاني الفينيقي التجارة، حيث ركبوا البحر الأبيض المتوسط في أزمنة مبكرة من تاريخهم و ذلك بسبب ضيق أراضيهم الزراعية، بينما أهتم الشعب الساوي بالزراعة و صناعة الأدوات الفخارية و الخزفية من الصلصال و الطين المحروق دون التجارة حتى عرفت الحضارة الساوية بحضارة الفخار (الطين)، و تتمثل الحضارتين في عملية دفن موتاهم في جرار فخارية خشنة مع عدم إظهار ملامح الوجه الكاملة على شكل مقرفص و يوجهون رؤوسهم تجاه الشمس إيماناً منهم بقوة الشمس، مع تقديم الأضحية البشرية من أجل دفع وباء أو بلاء سواء كان ذلك داخلي أو خارجي، إيماناً منهم بالبعث بعد الممات حيث يدفنون مع موتاهم أدواتهم الخاصة التي كانوا يستخدمونها قبل الممات.

وصلت الحضارة الكنعانية إلى تشاد مع اختلاف الآراء فيها واختلاف الأدلة المادية الملموسة التي تدل فعلياً وصول الحضارة الكنعانية للعديد من المناطق التشادية خاصة الساحلية منها مثل أبشة وعراضة وما جاورها (مثل كجمر)، وعرفت شعوب الساو تقانة المعادن وتعبر من أميز خصائص شعوب الساو حيث عرفوا تسخين المعادن ومعرفة درجة الحرارة العالية التي تؤدي إلى صهر الحديد.

الساو مصدره سأ يقصد به الهمة والجهة، أو القبلة التي يراد قصدها، وكذلك الوطن، وأن ساوي =مساواة، تعني المماثلة والمعادلة.

عدل يقال سويت عليه الأرض أي هلك و دفن فيها، ساوى الشيء = عادله، يقال هذا لا يساوي درهماً، و كذلك قيل أن كلمة ساو أصلها أمهرية و تعني إنسان، و من ناحية نطقها أو لفظها يذكر"جان بول لوبييف" أن اللفظ المحلي ينطقها السكان (ساو) و) SAO(، و يرجح البحث هذا الرأي، حيث ينطقها أهالي المنطقة من العرب سكان حوض البحيرة و الكوتوكو سكان مدينة (قاوي)، و تمت ملاحظة ذلك أثناء فترة الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث حيث أجرى العديد من المقابلات الشخصية و من ضمنها مقابلة مع سلطان (قاوي) الحالي حسن عبد الله محمد. وهناك من يرى أن كلمة ساو جاءت من الملك سو) SO (للأسرة الخامسة و العشرون المصرية، يبنما يذكر رأي آخر بأنها جاءت من المهاجرين البيض الذين أطلق عليهم العرب اسم الساو) SAO.(

إذ حدثت اضطرابات في زمن الامبراطورية القديمة من (3500-2000) قبل الميلاد قادها الشعب من أجل الحصول على امتياز أوزيريس الذي كان محصوراً على الفراعنة فقط دون غيرهم و كذلك في عهد السلالة الوسطى من (2000-1580) قبل الميلاد أيضاً حدثت حروب تزعمها "أمنحت الأول" الذي قدم من الجنوب و تمكن من طرد قبائل العماليق العربية التي قدمت من آسيا (1700) قبل الميلاد، و قد تمكنت قبائل العماليق أثناء هذه الغزوات و الاضطرابات من غزو مصر و تأسيس الأسرة الرابعة عشر و حتى السابعة عشر، و يقال رأي آخر أن المصريين حاولوا خرق عمق القارة الأفريقية على طول نهر النيل حتى الشلال الرابع على الأقل، و ربما حاولوا أيضاً الوصول أو التوغل نحو حوض بحيرة تشاد عبر الأودية القديمة التي تفتح على الضفة اليسرى للنيل.

الكلمات المفتاحية: الحضارة الساوية والكنعانية، SAO،SO .

المقدمة:

يواجه الباحث في علم الآثار بعض المشاكل التي تجعله عاجزاً في بعض الأحيان عن تحقيق هدفه كاملاً، لا سيما في ميدان المصادر و المراجع و ذلك بسبب قلتها و إن وجدت فمعظمها باللغات الأجنبية لأن الذين كتبوا في هذا المجال- أي علم الآثار- في بدايته كان معظمهم من الأجانب، كما تناول هذا العلم العملي بعض الأساتذة العرب الذين بذلوا جهوداً كبيرة لإظهار حقائق التراث الوطني الذي خلفه لنا الأجداد عبر الأزمنة التاريخية المختلفة و الذي يعد ثروة كبيرة نقلت لنا صورة الواقع المعاش في ذلك الماضي البعيد، كما يعد ثروة المستقبل المنظور للأجيال القادمة، و تعتبر الآثار من أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحث في بحثه العلمي، لأن الوثائق لا تكفي وحدها، إما لندرتها أو لوجود تناقض بين ما جاء فيها أو لاختلاط الحقائق التاريخية فيها بالقصص و الأساطير و الخرافات. وتُعد الآثار المعمارية من بين المعالم البارزة في علم الآثار، حيث تساعد كثيراً في أيضاًح الأمور المتعلقة به في تلك الحقب من تاريخ الأمم السابقة. و المصادر المكتوبة و في مقدمتها القرآن الكريم، و هو كلام الله الذي لا يرقى إليه شك، و لذلك فهو أصدق و أصح المصادر في تاريخ الأمم السابقة، كما أن كتب التاريخ و الجغرافيا و الرحلات الكشفية و الأثرية كلها مجتمعة تساعد الباحث في معرفة علم الآثار من أجل الوصول إلى الهدف المطلوب لكتابة أي بحث علمي يكون أقرب إلى الهدف المرجو.

و بهذا الموضوع تناول الباحث مقارنة بين الحضارتين الساوية و الكنعانية حيث تميزت الحضارة الساوية في فن صناعة الأدوات الفخارية و الخزفية المختلفة و المصنوعة من الطين المحروق بعد تجفيفه فبلغت مبلغاً كبيراً، و خاصة أن تقنية الأدوات الخزفية العالية الجودة التي تعبر لنا عن مدى تحضر شعب الساو، و أن الشعوب الساوية و أحفادهم الكوتوكو من بعدهم قد تميزت صناعاتهم، خاصة تلك الجرار المزخرفة الجميلة و المتنوعة في معظم مدن الساو، و تختلف نوعية الزخارف من مدينة لأخرى وقد تتشابه، و أنفردت مدينة قاوي دون غيرها من المدن الساوية، و التي تأسست حوالي القرن السادس الميلادي في صناعة المواد الخزفية من الطين، و يتميز هذا الطين الأسود بصلابته و يستخرج غالباً من مواقع خاصة خارج مدن الساو و هي عبارة عن حفر كبيرة خصصت لهذا الغرض، تجمع مدينة قاوي بموقعها الجغرافي المتميز كثيراً من الأنواع الصناعية المختلفة، مثل الأدوات الخزفية و الفخارية ذات المناظر الجميلة، و امتدت هذه الحضارة إلى بعض الدول المجاورة مثل الكامرون و النيجر و نيجيريا غرباً على ضفاف نهر سريبول من الجهة اليمنى لبحيرة تشاد.

الفصل الأول: الساو وأصولهم.

المبحث الأول: معنى كلمة الساو:

كلمة الساو من الكلمات التي اختلفت الآراء حول ضبط كتاباتها، وأصلها، واشتقاق معناها، و نطقها خارجياً و محلياً، إذ أن الكُتاب الغربيين كتبوها بطرق مختلفة، فنجدهم يكتبونها على هذه الأشكال:(SO) و (SOO) و (SOOV) و (SAV) و (SAO) و (TSO) و (NSOOH). (trovbet، 1950)

و لم نجد في القواميس الفرنسية اشتقاقاً لغوياً لكلمة الساو التي كتبت باللغة العربية، لأن علماء الآثار الفرنسيين أول من كتب في هذه الآثار بحوض بحيرة تشاد، أما في اللغة العربية فلك أن تكتب اسم الساو بالصاد أو بالسين كما ينطقها العرب الذين استوطنوا حوض البحيرة، و لذلك فقد كتبها العرب كما يلي: الساو، و الصاو أو الصو، على الرغم من ذلك الاختلاف اللفظي فقد احتفظ المؤرخون في الوقت الحاضر بتفسيرين لهذا الاختلاف و هما:-

أولاً: فسرت كلمة الساو(SAO) بأنها مشتقة من كلمة (SAWE) والتي تعني (سور أو حائط) بلهجة (الكوتوكو) سكان غلفي، وهذه التسمية تجرنا إلى الاعتقاد بأن كلمة ساو تعني الأسوار (صالح، 1976) لأن أغلب مدن الساو لها سور يحيط بالمدينة من جميع النواحي.

ثانياً: أما التفسير الثاني فهو الذي أطلقه عرب سكان البحيرة(SAW) بمعنى فعل أو عمل، ونلخص من ذلك أن كلمة ساو تعني فعل الإنسان الماضي، وبالتالي فإن الشعب الساوي كانت له صلة بالشعوب العربية، ولأن الاسم غير ثابت وقابل للتغيير وفقاً للتداول بين السكان المحليين والمهاجرين القادمين من الخارج، أي من خارج المنطقة، فإن مع مرور الزمن يحصل تغيير في بعض المصطلحات. (عبدالرحمن، 1971)

يذكر الدكتور إبراهيم علي طرخان يكتبها (صو) (علي، 1975)، بينما كتبها إبراهيم صالح بن يونس الحسني (صاو)، وعندما رجعنا إلى القواميس العربية وجدنا أن كلمة (الصاو) تعني الفارغ=الصاو=اليابس. (والإعلام، 1997)

الساو مصدره سأ ويقصد به المهمة، والجهة، أو القبلة التي يراد قصدها، وكذلك الوطن، وأن ساوى=مساواة تعني المماثلة والمعادلة.

سواه=قوَّمه وعدله وجعله، قال تعالى (الذي خلقك فسواك فعدلك) سورة الانفطار الآية (7). (وآخرون، 1972)

استوى: استقام واعتدل، الشيئان تساويا: تماثلا وتعادلا.

تجمع/أسواء وتجمع على سواسية على غير قياس. (وآخرون، 1972) ساواه ماثله وعادله ويقال ساوى فلان قرينه به في العلم وغيره.

عدل يقال سويت عليه الأرض أي هلك و دفن فيها (والإعلام، 1997)، ساوى الشيء =عادله، يقال هذا لا يساوي درهماً، كلك قيل أن كلمة ساو أصلها أمهرية و تعني إنسان (trovbet، 1950)، و من ناحية نطقها أو لفظها يذكر (جون بول لوبييف) أن اللفظ المحلي ينطقها السكان (SAO) (عثمان، 2005)و يرجح البحث هذا الرأي، حيث ينطقها أهالي المنطقه من العرب سكان حوض البحيرة و الكوتوكو سكان مدينة قاوي و تمت ملاحظة ذلك أثناء الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث حيث أجرى العديد من المقابلات الشخصية و من ضمنها مقابلة مع سلطان (قاوي) الحالي حسن عبد الله محمد سلطان مدينة قاوي. و هناك من يرى أن كلمة ساو جاءت من الملك سو (SO) للأسرة الخامسة و العشرين

المصرية، بينما يذكر رأي آخر بأنها جاءت من المهاجرين البيض الذين أطلق عليهم أهل الشام اسم الساو (SAO) (عثمان، 2005).و تعنى كلمة الساو عند بالمر(PALMER) بأنها تعني (العماليق)، و ذلك على حسب الحكايات و القصص المحلية (كلود، 1998). والعماليق هم من سكان وادي شمال شبه الجزيرة العربية الذين امتد ملكهم حتى شبه جزيرة سيناء، وقد سماهم البابليون (ماليق) ثم أضاف إليهم العبرانيون كلمة (عم) التي تعني أمة فحرفها العرب (إلى عماليق) وقد عرفوا في مصر باسم الهكسوس الذي يعني الرعاة. (فريد، 1971)

وللوصول لمعنى هذه التسمية يمكننا تتبع المسميات التي تحمل نفس هذال الاسم أو تقترب منه أو تشبهه:

ففي المنطقة الواقعة بين الري وهمذان لإيران توجد مينة تسمى ساوه ينسب إليها العالم أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل بن يوسف الساوي. (ياقوت، 1990)

وفي صعيد مصر بنواحي مدينة البهنسا من الصعيد الأدنى بمصر هناك قرية أطلق عليها اسم ساو. (ياقوت، 1990)

وإذا عدنا إلى منطقة حوض بحيرة تشاد فإن هناك شواهد مختلفة أطلق عليها اسم الساو: إذ يوجد مجرى مائي يحمل اسم بحر ساو، وأيضاً مجرى آخر يسمى جولال ساو، وفي الشرق خاصة في منطقة المرتفعات يوجد مرتفع أطلق عليه حجر ساو. (trovbet، 1950)

و توحي لنا هذه المناطق و الشواهد المختلفة التي سميت باسم الساو بأن هذا الاسم يعود إلى البشر الذين اعتادوا الهجرات و التنقلات من مكان لآخر، فربما قد قدموا إلى هذه المنطقة-منطقة حوض بحيرة تشاد، و إن الأسماء قابلة للتغيير إضافة أو حذفاً، و ذلك وفقاً لاستخداماتها خلال الفترات الزمنية المختلفة، و لذا يرجح الباحث رأي (بالمر) الذي ذكر فيه أن كلمة الساو تعني العماليق، و أن الساو عرب رعاة اعتادوا الهجرة و التنقل، فيمكن أن يكون قد أطلق اسم الساو على المدن و القرى التي دخلوها أو أنشأوها، كذلك بعض المناطق التي سكنوها و التي كان لهم فيها الغلبة و السلطان و الانتشار، و نشروها أيضاً بمنطقة حوض بحيرة تشاد و أصبحت اليوم علماً لدى الجميع بتشاد أي أن هناك أماكن عرفت باسم الساو حتى صارت حضارة فشملت الجماعات الأخرى التي كانت تحت سلطانهم أو اشتركت معهم في إقامة هذه الحضارة، لأن هؤلاء يمتازون بالغزو دائماً، (جوزيف، 2001) فقد عرف عنهم شعوب تحب الهجوم على الآخرين لأنها لا تجد صعوبة في ذلك، و تعتبر هذه الشعوب الساوية من الشعوب القديمة التي هاجرت إلى قارة أفريقيا و من ثم وصلت إلى حوض بحيرة تشاد و ضواحيها و محيطها و يرجح الباحث ما جاء في المصادر التي كتبت عن هؤلاء هو شبه الجزيرة العربية. (الثقافة التشادية)

المبحث الثاني: أصل الساويين:

تعددت الآراء بهذا الخصوص متعارضة أحياناً، وتوافقت أحياناً من أين جاء الساويون إلى بحيرة تشاد؟ وأين كان موطنهم الأصلي الأول؟ فجاءت أراءهم على شكل نظريات وفرضيات، وبحوث مستمدة من الروايات الشفوية، ومن الأماكن الأثرية التي حل بها هؤلاء الساو وأحفادهم (الكوتوكو) من بعدهم، ورأى البعض أن أرض هؤلاء هي شبه الجزيرة العربية والتي كانت المهد الأول للساويين(العمالقة) (أحمد، 2002).

و ذهب بعض منهم إلى أن ما تعرضت له شبه الجزيرة الغربية من تغير ظروف المناخ كان له أثر كبير على الموطن الأصلي للشعوب الساوية جفافاً و اجداباً فتركته المجموعات بحثاً عن آفاق جديدة تجد في خيراتها ما بدأت تفتقده من أسباب الحياة المناسبة، و قد عُرفت القرون السابقة لفترة ما قبل الميلاد، و ما بعدها في أفريقيا السوداء بالقرون الغامضة، و هي التي شهدت حضارات وادي النيل، و هجرات إلى عمق القارة الأفريقية و إقامة علاقات مميزة و منظمة، و إلى جانب ذلك كان الفينيقيون و اليونانيون و العرب يتداولون الهيمنة على البحرين الأحمر و المتوسط (خاصة في مجال التجارة) و خلال هذه الفترة حدثت هجرات بشرية تمازجت في جنوب الصحراء الكبرى (الأفريقية الشمالية) (جوزيف، 2001).

وخلاصة هذه المعلومات أن هنالك هجرات حصلت في التاريخ القديم، وقد توجهت إلى عمق القارة الأفريقية التي منها منطقة حوض بحيرة تشاد، ومن بين هذه الهجرات كانت هجرات وادي النيل، و قد أشارت التنقيبات الأثرية التي أجراها علماء الآثار الفرنسيون لكل من لوبييف و ماسودو في الفترة ما بين عامي (1936م-1948م) و التي أفادت مخرجاتها إلى أن هناك اتصالاً وثيقاً بين وادي النيل و منطقتي النيجر و حوض بحيرة تشاد (كلود، 1998)

ولو تتبعنا دراسة هذه الهجرات و الاتصالات من منطقة وادي النيل إلى منطقة حوض بحيرة تشاد، لاستنتجنا منها بحسب الأقدمية لهذه الحضارات (وهي حضارة وادي النيل) حيث أن حضارة مصر الفرعونية تتمتع بموقع جغرافي استراتيجي مهم جداً إذ كانت تتوسط آسيا و البحر الأبيض المتوسط و الكتلة الأفريقية في الجنوب (جوزيف، 2001).

و عندما شهد وادي النيل كثافة سكانية للجمعات البشرية في الألف الرابع قبل الميلاد، تأسست الحضارة الفرعونية و عقبتها صراعات أدت إلى تكوين مجموعتين كبيرتين من الأسر المتحاربة، و كانت الأولى في الشمال و عاصمتها (هليو بوليس)، و الأخرى في الجنوب و عاصمتها (طيبة) إذ ظهر الملك نار مر الذي تمكن من توحيد وادي النيل حتى الشلال الأول في مملكة واحدة تحت سلطانه (جوزيف، 2001).

و نظراً لميزة الموقع الجغرافي لوادي النيل في منطقة حوض بحيرة تشاد يمكننا وضع احتمالات ترشح المنطقة الأخيرة لجذب الهجرات و الاتصالات في حالات السلم و الاضطرابات البشرية الحربية، إذ حدثت اضطرابات في زمن الامبراطورية القديمة من (3500-2000) قبل الميلاد قادها الشعب من أجل حصول على امتياز أوزيريس الذي كان محصوراً على الفراعنة فقط دون غيرهم و كذلك في عهد السلالة الوسطى من (2000-1580) قبل الميلاد أيضاً حدثت حروب تزعمها "أمنحت الأول" الذي قدم من الجنوب و تمكن من طرد قبائل العماليق العربية (جوزيف، 2001) التي قدمت من آسيا سنة (1700) قبل الميلاد، و قد تمكنت قبائل العماليق أثناء هذه الغزوات و الاضطرابات من غزو مصر و تأسيس الأسر الرابعة عشرة (جوزيف، 2001)، و في زمن الإمبراطورية الجديدة حوالي (1580-1100) قبل الميلاد، تم طرد العماليق من قبل (أمينوفيس) الأول الذي جاء من الجنوب و أستقر في (طيبة) و لكن العمالقة ظلت لهم السيطرة على الأجزاء الشمالية و الوسطى من مصر. (دافيدسون، ب ت ن) و في عهد الامبراطورية الجديدة حدث صراع بين أمينوفيس

الرابع و كهنة حراس العادات الدينية لسبب محاولته ترك عبادة الشمس (الإله آمون) لتحل عبادة قرص الشمس لحظة مروره في كبد السماء (إله رع –أتون) محلها، فغير عاصمته إلى تل العمرانة بشكل كامل، إضافة إلى أن تدخلاً حدث من قبل كوش في شؤون مصر في فترة السلالة التاسعة عشر و الرابعة و العشرين مما أدى فرض السلالة السايتية من قبل الأشوريين و قد تدخل الليبيون أيضاً في شؤون مصر فتمت لهم السيطرة عام (1950م) قبل الميلاد، و حكموا الشمال إضافة إلى تحقيق كوش استقلالها من مصر (عثمان، 2005)

فهذه الاضطرابات والغزوات والصراعات والانفصالات التي عاشتها مصر الفرعونية القديمة، لابد لها أن تُحدِث هجرات بشرية نحو الخارج بحثاً عن الأمن، علماً أن الشرق والشمال كانا مهددين بغزوات الهكسوس والليبيين، وكانت قوة كوش تتمركز في الجنوب، وعلى هذا الأساس فإن الاتجاه الآمن هو المنطقة الغربية لمصر هي منطقة حوض بحيرة تشاد، مما ساعد على ذلك أيضاً أن المصريين على حسب رأي " أركل " كانت لهم معرفة بالأقطار الأفريقية.

و يقول رأي آخر أن المصريين حاولوا خرق عمق القارة الأفريقية على طول نهر النيل حتى الشلال الرابع على الأقل، و ربما حاولوا أيضاً الوصول أو التوغل نحو حوض بحيرة تشاد عبر الأودية القديمة التي تفتح على الضفة اليسرى للنيل (عثمان، 2005)و ربما حالت الأحداث التي تعرضت لها مصر دون ذلك.

المبحث الثالث: كيفية تأسيس المدن:

من الأمور التي يهتم بها أي باحث هو نظام تخطيط المدينة و بناء المنازل القديمة باعتبارهما من المناظر الحضارية التي تكشف عن تراث الماضي لتلك الأمم التي قامت بهذا العمل الذي يعد دائماً من أهم المصادر التاريخية لعلم الآثار، فإذا كانت هذه الدراسة أساسية بالنسبة للشعوب المختلفة فهي أكثر لزوماً بالنسبة لقوم لم يعرفوا سوى حياة المدينة من الناحيتين السياسية و الاجتماعية، مثل الكنعانيين و الإغريق، فمن خلال المصادر و الحفريات التي أسفرت عنها جهود الأثريين الذين قاموا بإجراء التنقيب في المواقع الكنعانية التي وجدت بها بعض الآثار أو آثار البلاد الأخرى التي تربطها علاقات مع الكنعانيين تدل على تنوع المدن الكنعانية (المحاسن، 1981)، و قد أثرت طبيعة الوطن الكنعاني في قيام المدن المستقلة، ففي شماله شيدت المدن على الشاطئ مباشرة أو فوق الجزر القريبة، حيث تصبح في مأمن من العدوان الداخلي، بسبب حماية الجبال لها من الشرق، ومن أهم هذه المدن : طرابلس، بيروت، صيدا،صور، و أن طبيعة المنطقة الكنعانية لم تمكنهم من تكوين دولة واحدة قوية موحدة، وإنما عاشوا في شكل جماعات صغيرة يحكم كلً منها ملك، و يتركزون حول مدن محصنة تحميها الأسوار و الأبراج العالية القوية، تلجأ إليها تلك الجماعات عندما تتعرض لهجوم خارجي، و يعتبر الشعب الكنعاني من أقدم الشعوب التي ركبت البحر الأبيض المتوسط من أجل التجارة، و هم من أمهر التجار الذين أبحروا في البحرالأبيض المتوسط.

كما برعوا الكنعانيون في فنون العمارة و الأسوار مثل قصر الملك سليمان في القدس الشريف، حيث ساهم المهندسون الكنعانيون (محمد، 1998) مساهمة فعالة في بنائه و بناء الهيكل التابع له، إذ كانت العمارة المدنية هي تنظيم المدن و إقامة المنازل أقل أهمية من العمارة الدينية، و لكن هذا لا يمنع من وضعها فنياً في مصاف العمارة بصفة عامة، فالعمارة تعتبر من المعالم الظاهرة التي تعد من ضمن المراجع الأساسية لدراسة علم الآثار، إذ إنها تعطينا الصورة الحقيقية الكاملة لتاريخ هذه المدن تقريبياً، متى أنشئت و بأية طريقة بنيت، و من أي مواد تم بنائها.

إن أول ظاهرة نلاحظها في المدن الكنعانية سواء كانت هذه المدن كبيرة أم صغيرة، هو السور الذي يحيط بها من جميع الاتجاهات، والمدن الكنعانية في معظمها صغيرة الحجم عادة مما جعلها تتميز بالطابع الغالب عليها و هو ضيق الطرق و الممرات، و ازدحامها بالمنازل و كثرتها لدرجة تلاصق بعضها البعض، و هذا الوضع حاصل بالمدن الساوية، و نظراً لأن مساحة المدينة كانت محددة بسور مسبق فإن كل زيادة حديثة في السكان في وقت الازدهار لم يصحبها اتساع آخر وراء الأسوار التي كانت في بداية التأسيس للمدينة، و لهذا السبب أصبحت المساكن تأخذ اتجاهاً آخر، ألا و هو التوسع الرأسي أي بناء المساكن فوق بعضها البعض، و الدليل على ذلك ما يؤكده كتّاب الإغريق القدماء مثل أسترابون الجغرافي منذ القرن الأول قبل الميلاد، حيث يذكر أن منازل (صور) و أوراد كانت تتكون من عدة طوابق، و أن منازل صور كانت أكثر ارتفاعاً من منازل (روما) نفسها، و هذا عكس المدن الساوية بحوض بحيرة تشاد فإنها لم تكن هناك منازل فوق بعضها البعض، و إنما كانت عبارة عن منازل عادية، و من الملاحظ أن الكنعانيين دائماً ينشؤون مدنهم في أماكن عالية أو مرتفعة و ذلك لعدة أسباب جعلتهم يتبعون هذا الأسلوب في البناء، حيث إن هذه الأماكن تساعدهم في الدفاع و حماية أنفسهم و سفنهم عند رسوها (مازيل، 1998)، و هذا أمر مشترك مع الشعوب الساوية، فهم أيضاً يبنون مدنهم في أماكن مرتفعة خوفاً من الفيضانات، و في نفس الوقت تساعدهم في الدفاع و حماية أنفسهم من هجمات العدو الخارجي.

إذاً نستطيع القول إن الكنعانيين كانوا يعيشون في مدن صغيرة متفرقة، أحياناً تتقاتل مع بعضها البعض وأحياناً تتحد ضد عدو خارجي، ولم تكن هناك روابط تربط بينها وإنما كل مدينة كنعانية تدير شؤونها الخاصة بها دون أن تتدخل الأخرى في أمورها الداخلية أو الخارجي، وتميزت بالأسوار التي تحيط بكل المدن الكنعانية، وأيضاً تميزت المدن الساوية بنظام السور الخارجي المحيط بالمدينة من الجهات الأربعة.

كذلك عرفت المدن الساوية بالمدن المستقلة عن بعضها البعض، وكل مدينة تسير أمورها بمعزل عن غيرها وهذا أمر مشترك بين الكنعانيين والساويين وكان للكنعانيين كذلك عدد من القرى والإقطاعيات الزراعية التابعة لها والمجتمع الكنعاني الفينيقي مجتمع زراعي برع في كثير من العلوم الزراعية حيث أن ماجون الفينيقي من قرطاجة، كان لمؤلفاته الزراعية الفضل في تقدم زراعة الرومان (فضيل، 2001).

ومن الأمور المشتركة بين المجتمع الساوي والكنعاني عملية دفن موتاهم، فكلا الحضارتين أو الثقافتين تدفن موتاها بجرار فخارية ويدفن مع الموتى أدواتهم الخاصة بهم، والتي كانت مستخدمة في حياتهم مثل أدوات الزينة وغيرها، وتقديم الأضحية البشرية كانت أيضاً مشتركة بينهما.

تعتبر العمارة الكنعانية الفينيقية قديمة قدم الحضارات في الشرق الأوسط، و خاصة في بلاد الشام منذ ثلاثة ألف سنة قبل الميلاد والتي قامت بعد الهجرات العربية في شبه الجزيرة العربية، و استقرت في بلاد الشام، و كان الشعب الكنعاني واحداً منها، و تميزت العمارة الكنعانية ببناء الحصون و القلاع و الأسوار، و تعدد الطوابق و ضيق الطرق و الممرات، و من الأمور التي تميز بها الشعب الكنعاني دون غيره في فترات سابقة هو ركوب البحر و ذلك لضيق أراضيه الزراعية، حيث توغلت سفنهم حتى الجزر البريطانية و ذلك عبر المحيط الأطلسي، و التجارة هي العمل الأساسي الذي قام به الشعب الكنعاني على سواحل البحر الأبيض المتوسط، بينما تميز الشعب الساوي بصناعة الفخار المحروق مما أطلق عليه حضارة (الطين)أو الفخار.

ويشترك الشعب الساوي مع الكنعانيين في الأسوار و الحصون و القلاع (محمد ب.، 1990)، أما التجارة فهذه خاصة بالكنعانيين، فالساو زراعيون بالدرجة الأولى دون التجارة، و تعتبر الجماعات الساوية من أقدم الجماعات السكانية حول حوض بحيرة تشاد، و عرفوا بناء المدن المحصنة و الدفاع عنها، و كان النظام الاقتصادي لدى الساو يقوم على التبادل التجاري و إنتاج بعض المحاصيل الزراعية المهمة، و لم يذكر في تاريخهم الإهتمام بنظام المقايضة الذي كان منتشراً في المناطق الأفريقية حتى لفترات قريبة لكن الملاحظ أنهم لم يستخدموا أي عملات نقدية محلية غير الذهب و الفضة و الملح.

ومن الملاحظات المهمة على الآثار القديمة حول بحيرة تشاد أن الروايات المحلية تصفها بأنها من آثار الكنعانيين (صالح أ.، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق الترجمي في دار وداي-تشاد 1853-1917، 2001) أو (أبو كنعان)، سواء في تلك الآثار أو المخلفات الفخارية أو الرسومات والتماثيل أو الآبار المحفورة في الصخور.

ونستنتج من ذلك بأن الحضارتين لهما ترابط وتشابه في كثير من الأمور التي تجمع بينهما، مثلاً صناعة الأواني الفخارية وصناعة جرار دفن الموتى وتقديم الأضحية البشرية للآلهة من أجل دفع بلاء أو وباء سواء كان ذلك محلي أو عدوان خارجي.

وأن الحضارة الكنعانية كان لها وجود في تشاد خاصة في المناطق الساحلية، وبالتحديد مدينة أبشة وشرقه وشمالها ومدينة عراضة وضواحيها مثل (كجمر) وما جاورها، ولعل الدراسات والحفائر الأثرية في المستقبل تسلط أضواءً أكثر بخصوص هذا الموضوع.

المبحث الرابع: أشهر ما قام به الساو من الصناعة:

برع الساو في مجال الفنون فصنعوا من الطين المحروق والبرونز والنحاس والحديد تماثيل بشرية وحيوانية وجرار وحلي وأسورة وغيرها.

فقد أنجز الساو الأواني الفخارية الضخمة لدفن موتاهم، حيث يدفنون بجانبهم أدوات من الحلي و الزينة، إضافة إلى ذلك فقد تم اكتشاف أدوات بشرية مصورة صنعت من الطين المحروق و ذلك بمنطقة (فالي) و كذلك عثر على تماثيل حيوانية، و مصنوعات أخرى مختلفة المظاهر و الأساليب، كانت تمثل ارتباطاً بتصورات اعتقادية، منها الهياكل المقنعة الشكل و تماثيل طينية ثقيلة الحجم و كانت هذه المكتشفات تعود لشعب الساو (عثمان، 2005)

إذاً أن منطقة حوض بحيرة تشاد أثرت فيها الهجرات البشرية القديمة و ذلك في مجال التمازج الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي و الفني و المعتقد الديني.

عرفت منطقة حوض بحيرة تشاد بالسكان و برز منهم العماليق، فحملت الحضارة التي أقيمت في هذه المنطقة اسم شعوب الساو الذين قدموا من الشرق و الشمال و الغرب و انتشروا بحوض هذه البحيرة و أقاموا حضارات عريقة تميزت بهم منذ قديم الزمان (عثمان، 2005).

ثم امتازوا ببناء المدن و الصناعات المختلفة و المناظر الجميلة لصور الحيوانات و مشاهد الألعاب الرياضية و فنون رؤوس الكباش المصنوعة من الفخار، و أنهم قد خلفوا المباني المحاطة بالأسوار الضخمة العالية جداً، حيث بلغ ارتفاع بعضها حوالي عشرة أمتار تقريباً، و الأثاث و القدور الفخارية الكبيرة ذات الأحجام المختلفة، و الثقيلة الوزن و التي أثبتت التنقيبات الأثرية بأنهم قد استخدموها لدفن الموتى، حيث عثر بداخلها على بقايا عظمية لأحد الموتى و بجانبه شيء من أدوات الزينة و بعض الحلي التي كانت مستخدمة في الحياة قبل الممات، و أن صّناع الفخار كانوا ذو خبرة جيدة منذ زمن بعيد يرجع إلى بدايات القرن الخامس قبل الميلاد و ذلك بمدينة (دايما) و في القرن الثاني قبل الميلاد في مدينة (مدقا).

ومن فنون الساو الصناعية كذلك التماثيل البشرية القليلة والكثيرة التنوع، وأيضاً قد تفننوا في صناعة فرس النهر والهياكل المغطاة بالجز والشقف الطويلة والضرعيات البحرية ولوحات من البرونز كالقلادات (عيسى، ب،ت).

والأشكال الحيوانية ذات الأحجام الصغيرة والجميلة، ورأس غزالة وقرون طويلة حلقية حسنة التصنيع، وتعد الزخرفة عند شعوب الساو ظاهرة وجميلة وواضحة حتى في أدواتهم المستخدمة وهي في معظمها مغطاة بتزينات متنوعة توجد على شكل شقف صغيرة وتماثيل بشرية وأن لكل جهة فن زخرفتها الخاص بها دون غيرها في معظم الحالات (شعيب، 2000)

و أيضاً من أبرز ما خلفوه الدنان ذات الحجم الكبير الذي يتسع لأكثر من 300 لتر ماء، حيث يبلغ الارتفاع حوالي متر و نصف المتر و العرض حوالي مترين تقريباً و هي عبارة عن جرار كبيرة الحجم توضع في مكان معين من زوايا المنزل و تعبئ بالماء أو بعض المحاصيل الزراعية أو غيرها من المواد الغذائية، لتلك الشعوب الساوية بحوض بحيرة تشاد و ما جاورها من المناطق الأخرى، وتجدر الإشارة أن القطع الفخارية و الأقنعة و التماثيل من السراميك و البرونز هي من أعظم مخلفات الساو من المكتشفات الأثرية، و على الرغم من غنى المادة المنسوبة إلى شعب الساو و التنوع الكبير في الآثار المصنوعة من السراميك، فإن مقارنتها مع المكتشفات التي وجدت في حفريات إنيدي بركو و جرار موسورو توضح

الاختلاف الكبير بين المرحلتين، و الساو هم من أقوى الشعوب الأفريقية من حيث الخلقة و من حيث الانتشار (شعيب، 2000)

و نستنتج من ذلك بأن شعب الساو قد تقدموا في فترات حضاراتهم في الجوانب الفنية المختلفة و إتقانهم لصناعة المعادن، و من روائع الصناعات الساوية هم صيادون و مهرة و بناؤون قادرون إذ تنسب إليهم المدن المحاطة بالأسوار-(عبد الرحمن زكي) و يدعم هذا القول كاتب آخر إذ ترجع إليهم المدن المحاطة بالأسوار و تلال نصف صناعية في جميع المنطقة الواقعة في نهر شاري الأدنى و لوغون إلى الغرب من بحيرة تشاد شمالاً و نجالا النيجري (وكانو غرباً).

الفصل الثاني: فنون و صناعات الساويون المختلفة.

المبحث الأول: فن الزخرفة:

من المعلوم أن شعب الساو وأحفادهم الكوتوكو من بعدهم تميزت صناعتهم، وخاصة جرارهم بزخرفة جميلة ومتنوعة، وذلك في أغلب مدن الساو حيث تختلف نوعية الزخرفة من مدينة إلى أخرى أحياناً قد تتشابه وأحياناً قد تختلف.

أما مدينة قاوي التي تتميز بموقعها السياحي المتميز تجمع من أنواع الزخرفة فإن الأشكال الناشئة بمعنى المنتفخة و هي عبارة عن خطوط تجعل الزخرفة عبارة عن مربعات صغيرة، فقد كانت قليلة الإستعمال، بينما نجدها تكثر في بعض المدن الساوية مثل مدينة (مدقا) فإن كثيراً من مدن الساو التي أجريت فيها بعض البحوث نجد أن أنواع الديكور المختلفة منها ما يوجد في معظم المدن التابعة للساو فمثلا(التخطيط المجوف) و هو عبارة عن خطوط عميقة تتصاعد و تنزل و هي متشابكة.(و المستطيل أو المخروطي يوجد أحياناً بموقعة قاوي بقلة بينما يكثر في كل من ولكي) تقع بشمال الأراضي الكامرونية و على الضفة اليمنى من نهر سريول (و أنقالا) تقع بشمال نيجريا و هي من ضمن إمارات الساو، أما التشكيل عن طريق نقط الأرز توجد في مدينة قاوي و منطقة مدينة مدقا و مارا و منطقة تاقو، و يكون هذا التخطيط عن طريق نقط متوازية و متقاربة و توجد تشكيلية الشقوق البسيطة المكررة بمنطقة قاوي و غلفي و أنجمينا كما أن مدينة قاوي تتميز بتشكيلة الخطوط المضعفة (أبكر، 2002).

إضافة إلى المجندات و الأشكال الحيوانية ذات الأحجام الصغيرة و الجميلة و الظريفة، و رأس غزالة و قرون حلقية حسنة التصنيع و منجد ذو تسعة فروع، و بط متنوع جداً، و حرشفة الدروع وجبة لغطاء الرأس و صناعات برونزية جميلة و حلي ذات استخدام نسائي، و تعد الزخرفة عند حضارة الساو جميلة و واضحة حتى في أدواتهم المستخدمة و هي في معظمها مغطاة بتزينات متنوعة، توجد على شقف صغيرة و تماثيل بشرية، و أن لكل مدينة ساوية زخرفتها الخاصة بها، فمثلاً التربيعات نجدها عند مدينة ولكي و أنقالا و ماركي و علامة الأرز نجدها عند مدينة تاغو و مدقا كما تفننت شعوب الساو في حوض بحيرة تشاد في صناعة السفن من نبات البردي الذي اكتسبوه من أهل مصر (وآخرون أ.، 2013).

ومن جانب آخر يوضح كي زيربو بأن وضع القرون الحيوانية على رأس الإنسان في فن الساو في ذلك الرسم ما هو إلا تعبيراً عن امتلاك فعلي لهذا الحيوان.

وبهذا نقول: إن شعب الساو قد تقدم في حضارته في الجانب الفني الذي شمل معظم النواحي الفنية في صناعاتهم المختلفة في تلك الفترة الزمنية من حياتهم الصناعية.

المبحث الثاني: فن صناعة الصلصال:

إن حضارة شعوب الساو تتميز بصناعة الأدوات من الطين (الطين المحروق بلغة الكوتوكو يسمى مشيلي)، و خاصة شعب موقعة قاوي حيث إن أدوات الطين المحروق يكون الجزء الأكبر منها من الأعمال الأثرية فإن كثرتها على حسب الأحجام المختلفة يظهر لنا التقدم الفائق في التنمية الصناعية، خاصة فن الخزف الذي استعمل في صناعة الأدوات المختلفة، فإن أنواع (قاسم، 2004) الطين المحروق الكثيرة جداً لا يمكن فصلها عن الأدوات المنزلية، و إن الطين قد استعمل بشكل شبه دائم في الأنشطة الدينية و الحياة الطبيعية، و نجد أن الأشياء المصنوعة عادة تكون طبيعية و بطريقة فنية جميلة، مما يمكننا القول أن صناعة الخزف كانت التقنية السائدة بالنسبة للإنسان القديم ساكن الأراضي المنبسطة، و أن شعب الساو من ضمن هذه الشعوب التي عاشت في مثل هذه الأراضي و أقامت حضارة باقية إلى يومنا هذا شاهدة على مر العصور.

لذا نجد أن القليل فقط من الأنشطة التي تتعلق بصناعة الأدوات الطبيعية أو الشعائرية التي تكون قد انتشرت بدون تدخل للأدوات المصنوعة من الطين المحروق كالأواني و المرمدة و الجرار التي تستخدم لحفظ الأدوات أو لحفظ الماء و الكؤوس لشراب الماء و التماثيل (البشرية و الحيوانية) و غيرها من الأدوات التي تم العثور عليها خلال التنقيب الأثري لمواقع شعوب الساو المختلفة (قاسم، 2004).

المبحث الثالث: الطين المحروق:

من أبرز خصائص شعوب الساو بالمنطقة هي صناعة المواد الخزفية من الطين المحروق، فإن هذا النوع من الطين الأسود الصلب، و الذي يستخرج غالباً من مواقع خاصة خارج مدن الساو، و هي عبارة عن حفر طويلة غير عميقة عادة، و من أهم المدن التي اشتهرت بصناعة المواد الخزفية مدينة (قاوي)، إذ نجد في موقعة قاوي التي تنقسم إلى أربعة حارات لكل حارة موقعها الخاص الذي يستخرج منه الطين، و أن هذا العمل يقمن به النساء غالباً، حيث يحفرن الطين من مكانه و يحملنه إلى البيت، و ذلك من أجل صناعة المواد الخزفية و يجمع الطين على شكل الطوب الذي يقمن بجمعه على هيئة أكواماً، ثم يضعنه على الماعون المعد لصناعة الأدوات منها، جرار دفن الموتى و وعاء الأكل و ألعاب أطفال مختلفة، و عملة،و سلاسل، غيلون التدخين، و الثقل الذي يوضع على الشباك، و الأداة التي توضع عليها الجرة، و تماثيل بشرية و حيوانية، و أدوات طقوسيه، و صحون لتقديم الأكل، و أسطوانات، و طوق مجمل، و صفارة كما صنعوا أيضاً منه الجلجال(وهو عبارة عن جرس مصنوع من الفخار)، و رأس النُشاب و القدوح، و غير ذلك من الأدوات ذات الاستخدامات العامة و الخاصة – و نجد أن الصيادين يثقلون شباكهم بطوب ثقيل حيث أن البعض يكون قريباً من حبل الزهور أو يكون بأثقال مسبقة (وآخرون أ.، 2008).

واستخدم شعب الساو حجارة الشهب وأن هذا الحجر يستخدم عادة في المراحي كذلك حجارة الأوليت، و هي أغلب أنواع الحجارة المكتشفة في المواقع الأثرية، و يقال أن معرفة صناعة الحديد في السودان الغربي و في أفريقيا الوسطى تعود إلى أصول نيلية و شمال أفريقيا منذ حوالي 500 سنة قبل الميلاد.

يورد آخرون مؤيدون لهذا القول بما أن صناعة الحديد معقدة جداً فإن المجتمعات الأفريقية القديمة تمكنت من تطوير تسخين المعادن ومعرفة درجة الحرارة العالية التي تؤدي إلى صهر الحديد (عيسى، ب،ت).

وأهم الآثار المادية التي استدلوا بها هو اكتشاف الحديد بكميات كبيرة في منطقة نوك بهضبة جوس بنيجريا جنوب بحيرة تشاد، حيث قدر الحديد المكتشف في المنطقة بحوالي 300 ميلادي.

وخلاصة القول فقد دخلت منطقة حوض بحيرة تشاد تأثيرات حضارية في تقنية صناعة الحديد من وادي النيل، خصوصاً إذا تم اعتبار أن شعوب الساو شعوب نيلية نزحت من وادي النيل إلى المنطقة.

وبحوالي النصف الثاني من القرن الخامس دخلت المنطقة تقنيات جديدة في صناعة الحديد عندما نزحت شعوب نيلية إلى المنطقة عبر دار فور حاملة معها أسلحة حديدية مثيرة للدهشة، وبذلك برعت شعوب الساو في تقنية صناعة الحديد التي اكتسبوها منذ قديم الزمان، وأضاف المهاجرون الجدد إلى المنطقة تقنيات جديدة في صناعة الأدوات الحديدية (عيسى، ب،ت).

يبدو أنه في فترات لاحقة دخلت المنطقة تأثيرات حضارية من منطقة شمال أفريقيا، و ظلت منطقة تبيستي منطقة تأثير على حضارات حوض بحيرة تشاد منذ هيمنة شعوب الساو على المنطقة إلى سقوط آخر منطقة من مناطق تشاد في يد الاستعمار الفرنسي عام 1911م و لقد كان لهذه الشعوب تأثيراً على نقل تقنية صناعة الحديد في المنطقة، و من ناحية أخرى هناك بعض المصادر تشير إلى أن الشعوب الكوشية و الليبية كانوا يعرفون فنون الذهب و النحاس و البرونز قبل أن يعرفوا الحديد، و معرفتهم لهذا المعدن الأخير قامت المبادلات التجارية، الأولى عبر الصحراء حيث كان

الجرامنتيون يزاولون هذه التجارة المربحة و قد وصلوا بعرباتهم عبر الصحراء حتى منطقة حوض بحيرة تشاد و يؤكد هذا القول هيارد قائلاً :

قد خضعت مناطق غدامس و فزان تجارياً للرومان حتى منطقة صبراتة و عليه يمكن القول بأن القبائل أمثال أسليت الذين يسكنون أعالي بلاد هابل، والذين قلدوا اليونان في صناعة الحديد فكانت تقنياتهم تقنيات يونانية، و قامت أوشيس الجرامنتية الذين يسكنون في أعالي مناطق جنوب ليبيا و تشبه تقاليدهم التقاليد الأوربية لحد بعيد، و لم يكن هناك عوائق عبر أوجلة جنوب ليبيا و واحة سيوه في مصر لنقل هذه الصناعات إلى قبائل التبو في تبيستي و درت تجارة الحديد أرباحاً هائلة لشعوب المنطقة حتى أنها امتدت إلى مناطق غرب البحيرة، حيث أشارت بعض المصادر عن العلاقات التجارية المتبادلة بين منطقة تشاد و نيجيريا و النيجر، خصوصاً في المواد الحديدية (عيسى، ب،ت)، و يصف هيارد قائلاً بلغت تجارة الحديد في منطقة تشاد أقصى اتساعها و عليه فقد تم اكتشاف حديد شعوب الساو الذين سكنوا في منطقة حوض بحيرة تشاد في الكنغو تعود لحوض بحيرة تشاد، و الذي يرجع تاريخه إلى القرن العاشر الميلادي، و تم اكتشاف مواد حديدية تحمل نفس التقنيات في منطقة الكنغو تعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي، و يبدو أنها وصلت من المناطق التشادية الوسطى عبر قيرا، وقد انتشرت تجارة المواد الحديدية من السودان الغربي الأوسط (عيسى، ب،ت).

و في ذلك ذكر أركل قائلاً (قامت قبائل البديات، التي عملت على نشر الأدوات الحديدية السودانية في إنيدي بالشمال الشرقي لتشاد، و لا يوجد فارق بين الصيادين و الحدادين و كلهم قاموا بممارسة تجارة الأسلحة في المنطقة) (عيسى، ب،ت)، و قد تم اكتشاف نفس الأسلحة في منطقة بركو، كما لوحظ مصانع جديدة في منطقة وداي، و انتشرت عن طرق التجارة و وصلت حتى منطقة تبيستي، كما لوحظ سنة 1950م أدوات معدنية من وداي حتى حوض بحيرة تشاد (عيسى، ب،ت).

و مع اتساع نطاق استخدام الحديد ظهرت عملات جديدة في منطقة باقرمي ساهمت في دفع التجارة في المنطقة بشكل جيد، و شمل بقية مناطق حوض بحيرة تشاد بصورة عامة، فقد استخدم السكان عملة لوغو التي كانت منتشرة في بلاد السارا و كانت مصنوعة من الحديد، و في ذلك يورد هيارد قائلاً:(وقد تبادلت منطقة حوض بحيرة تشاد تجارياً بعملتين جديدتين عرفت الأولى باسم كولى، و قد وجدت هذه العملة في منطقة السودان الشرقية خصوصاً في مناطق كردفان، وكما استعمل سكان المنطقة عملة لوغو وعملة جديدة أخرى أشبه ما تكون بأدوات الزراعة، وقد اتسع نطاق استعمال هذه العملة في بلاد السارا).

ونلاحظ من ذلك اتقانهم للصناعات البرونزية وتتمثل كل ذلك في الأدوات البرونزية التي تمثلت في صناعة التماثيل البشرية والحيوانية، وأدوات الزينة التي تتمثل في الأختام والخروز وأسورة اليد التي تكون عادة مزخرفة بشكل بارز حيث تظهر بعضاً من الخطوط، وأخرى ملتوية ومقوسة أحياناً ومزينة بعدة أشكال هندسية (محمد ا.، 2015-2016).

المبحث الرابع: استعمالهم لمعدن النحاس:

كما نلاحظ أيضاً استعمالهم لمعدن النحاس فقد وجدت أدوات نحاسية متمثلة في الخواتم والحلقات المصنوعة من رقائق أخرى أكثر تعرجاً وبها خطوط متموجة، ولكل منها نموذج ليس له معادلة، عكس الحلقات الموجودة بإمكانها أن تشكل سلاسل مماثلة نسبياً، وتندر الأسورة المصنوعة منها.

ولكل واحد نمط خاص بخلاف الحلقات الموجودة التي يمكن أن تؤلف أشياء مماثلة لحلقة رقيقة بيضاوية مزخرفة جزئياً ومفتوحة بعرض ذات أطراف مسطحة على شكل حوافر منقوشة في جزئها الأوسط بمثلث بارز، وقد وجدت سلاسل أصلية من المعدن بشكل متماسك مع بعضها البعض، وتعلق فيها أحياناً قرون بعض الحيوانات، وأخرى تظهر فيها أظافر بعض الحيوانات وأن عدد وطبيعة السبائك تسمح بأن تعطي لهذه الحلي صفة نسائية، وإذ تعلوها أزرار مما يشكل تجميلاً للصدر (محمد ا.، 2015-2016).

إن هذه الأنواع من الحلي لا يمكن أن تمتلكها أي امرأة أخرى نظراً لقيمتها، فقد و جد تمثالين بشريين، يكاد يصل طولهما إلى (5 سنتمرات)، و هيئتها خشنة نسبياً، و ذلك ناتج من الصدى، و يمثل التمثالين البشريين واقفين رجل و امرأة من ذوي الصدور القوية، و الأعضاء السفلية معوجة قليلاً و منتفخة تماما عند أحدهما، و يكاد الأول يختلف عن الأخر، و إن مكونات المزج متنوعة من قطعة لأخرى و من جانب لآخر، أما الأدوات النادرة من النحاس الصافي في مواقع الساو فغالباً ما تكون مصنوعة من النحاس الأصفر.

أما الأساور المصنوعة فقليلة جداً و هي على شكل دوائر بسيطة مزدوجة، و أدوات زينة تحتوي على شكل (حرف الV)، و هي نتائج تنقيبات عن المصنوعات النحاسية في المناطق التي عاش فيها شعب الساو. (محمد ا.، 2015-2016).

المبحث الخامس: خصائص حضارة الساو :

اشتهرت حضارة الساو بسمات حددها العلماء، وذلك من خلال مظاهر معينة أو آثار تصاحب حياة الساو أين ما حلو منها الطقوس الجنائزية المعقدة كذلك من أبرز خصائص حياتهم الاجتماعية، سمو منزلة النساء حتى كان لهن نفوذاً كبيراً في شؤون الحكم (عيسى، ب،ت)

تميزت شعوب الساو بصناعة الخزفيات، و في كل المناطق التي نشئت فيها دولتهم، و هناك العديد من المواد الخزفية استعملت و استخدمت لطبخ الطعام، و صنعت منها أكواب لشرب الماء و زخرفت بألوان منها : اللون الأبيض و الأسود لزخرفت الأواني الخزفية، و هناك جرار صنعت خصيصاً لوضع الأموات فيها و هي خشنة و غير مزخرفة، يوضعون في شكل مقرفص و يوجهون إلى الشرق حيث شروق الشمس إيماناً منهم بقوة الشمس، و هذا قاسم يشترك فيه الساو و الفراعنة و المرويين من منظور عبادة الشمس، الذي تمسكت به الشعوب الأفريقية القديمة من النيل إلى السنغال، و هناك جرار أخرى قد صممت خاصة لحفظ الغلال و مياه الشرب عادة تكون مزخرفة و مخططة بخطوط متموجة و الألوان الأكثر استعمالاً لتلوين المواد الخزفية اللون الأسود و الأصفر و الأحمر و الأبيض، و الخطوط أحياناً تكون متشابكة تظهر فيها البراعة الهندسية و الجمال الفني، و في بعض الأواني تظهر خطوط غليظة، و ينعدم فيها الجمال الهندسي (عيسى، ب،ت).

يمكن أن نقول بأن تلك المرحلة كانت من المراحل الأولى لفن زخرفة الخزفيات لدى شعوب الساو، و لا يخفي هذا الأثر الفني على خزفيات شعوب الساو من وادي النيل، و هذا الأثر الثقافي لا يثير الدهشة و التعجب لأن هناك علاقة وثيقة بين هذه الشعوب أي شعوب الساو التي يظن أنهم وفدوا من منطقة النيل إلى منطقة حوض بحيرة تشاد، و هناك بعض الأدوات الخزفية صنعت خاصة من أجل الزينة عادة تتميز بالنعومة و تتمثل في الخواتم و العقود و القرون التي تلبسها النساء (عيسى، ب،ت).

قامت شعوب الساو بصناعة التماثيل البشرية و الحيوانية من الخزف و ألعاب الأطفال، فإن هذه التماثيل ترمز دائما لجوانب روحية لدى شعوب الساو، حيث إن التماثيل الصغيرة البشرية توضع بقرب المريض لتشفيه من المرض، و أحياناً لطرد الأرواح الشريرة التي تؤذي هذا المريض باعتباره عاجزاً عن الدفاع عن نفسه و أحياناً هذه التماثيل توضع مع الميت مع بعض الأواني التي تستعمل لشرب الماء و الأكل، و هذا تأثير واضح من الحضارة النيلية الكوشية و الفرعونية و أن هذه التماثيل البشرية التي صنعتها شعوب الساو لا يكشف فيها ملامح الوجه الكاملة، و في بعض المواقع تم العثور على تماثيل بشرية تكون أحياناً بقرن واحد و أحياناً بقرنين، و في بعض الأحيان تكون بثلاثة قرون، و هناك تماثيل بدون قرون مع عدم إظهار الملامح البشرية، فربما تعود لأسباب و اعتقادات تمسكت بها شعوب الساو بدوافع دينية خفية أو سحرية، لأن بعض من هذه التماثيل قد عبدت من قبل شعوب الساو، و إن عدم إظهار الملامح البشرية و الحيوانية في بعض تماثيل الساو، فإن ذلك لا يعني عدم قدرتهم على إظهار تلك الملامح، بدليل أن الساو برعوا في الفنون و في كل المجالات الفنية مما يؤكد قدرتهم على ذلك، إذاً خُدوعهم في ذلك لبعض الطقوس السحرية أو الدينية ذلك أمر مرجح (عيسى، ب،ت).

أما التماثيل الحيوانية فتمثلت في صور الحيوانات المائية خصوصاً فرس النهر و الأسماك، و كذلك هناك تماثيل للأبقار و الغزلان و الضباع، و أن تاريخ صناعة هذه الخزفيات و التي تنسب إلى شعوب الساو، يقال أنها ترجع للقرن

الرابع قبل الميلاد، كما قامت شعوب الساو بصناعة ألعاب للأطفال كالصفارات و الأدوات الأخرى المتنوعة من الخزف، إضافة إلى صناعة العملة المتداولة، و هي كروية الشكل و كل عملة تحمل عدداً من النتوءات التي تحدد قيمة العملة حسب الكثرة و الأقلية، ومن الملاحظ أن شعوب الساو يبدو أنهم قد مارسوا عادة التدخين منذ فترة طويلة، و ذلك أنهم قاموا بصناعة الغلونيات التي تحشى بالتبغ (عيسى، ب،ت).

و نجد أن الخزفيات و كذلك بعض الأواني و السدادات، و كذلك صنعت شعوب الساو مساند توضع تحت رأس الميت و هذه الطريقة كانت معروفة لدى الشعوب النيلية (عيسى، ب،ت).

عرفت شعوب الساو تقانة المعادن و تعتبر من أميز خصائص شعوب الساو، و تتمثل في الفؤوس و المحاريث و الجرافات و السكاكين و رؤوس الرماح و رؤوس السهام، و السنارات لصيد الأسماك و المخارز و الأمواس (عيسى، ب،ت)

إذاً فشعوب الساو تعد من ضمن الشعوب الأفريقية التي استخرجت الحديد، و بحسب الدراسات التي أجريت على حوض بحيرة تشاد تبين أن نهر شاري و لوغون يحملان كميات كبيرة من شذرات الصخور الحديدية بمستويات متفاوتة قبل التقائهما بالعاصمة (أنجمينا) ليلقيا بها في بحيرة تشاد، و لوحظ تناثر كميات الصخور الحديدية بكثرة عند مجاري الماء في قرية ورلا التي تبعد عن مدينة أنجمينا بحوالي عشرة كيلو متر شمالاً، و تتدرج الصخور اللاترتية إلى خمس مستويات في تكوينها في الصخور الحديدية :-

- الدرجة الأولى العليا لسلسة الصخور الحديدية تمثل في الغالب سهلاً مرتفعاً أساسه دروع اللاترين التي إما تكسوها تربة صلصالية أو تكون عارية من السطح.

-الدرجة الثانية من السلسلة فهي الطبقة السطحية للتربة اللاترنية، تحدث عملية تراجع التعرية مكونة عندها منحدراً هابطاً.

-الدرجة الثالثة و هي انحدار بسيط و رقيق من الصلصال الأحمر المتكون محلياً مختلطاً بحصيِ هي في الواقع البقايا المتفتتة للدروع.

-الدرجة الرابعة و تتكون من منحدر الوادي المروي، و هي مكونة معظم الحالات من الصلصال الأحمر.

-الدرجة الخامسة تمثل قاع الوادي ذا الطين الأصفر الرمادي أو التربة الطينية التي تتكون في البرك و المستنقعات، و بعض هذه الصخور الحديدية قد فقدتها الطبقة العليا فقداناً تاماً، و توصف بأنها مقطوعة القمة، و عملية تكوين الصخور اللاتراتية الحديدية هي نفس عملية التكوين في المستوى و الدرجات لذلك سميت الصخور اللاترتية بالصخور الحديدية (عيسى، ب،ت).

نتائج الدراسة:

أولاً: أفادت الدراسة أن هجرة الشعب الساوي إنهم منحدر من شبه الجزيرة العربية في العهود القديمة إلى أفريقيا ومنها إلى منطقة حوض بحيرة تشاد بالسودان الأوسط وذلك يرجع إلى ما قبل التاريخ والعوامل التي أدت إلى هجرات هذه الشعوب تتمثل في الظروف الطبيعية الطاردة بشبه الجزيرة والشعب الساوي كغيره من الشعوب التي هاجرت من الشرق والشمال واستقرت بضواحي البحيرة.

ثانياً: حاولت الدراسة من الناحية النظرية أن توضح أثر الحضارة الساوية على حوض بحيرة تشاد والجماعات الوافدة إليها عامة، مما أدى إلى ظهور تأثيرات ثقافية جديدة لها أثرها في الحضارات القديمة، وركزت الدراسة في هذا الإطار على الدور الفني والثقافي الذي قامت به الجماعات الوافدة والمحليين في حوض البحيرة والتي يقودها الشعب الساوي و ذلك من خلال المخلفات الأثرية فأوضحت هذه الدراسة أهمية دراسة حضارة الشعوب الساوية من خلال أدواتها الفنية و ما جلبته تلك الشعوب الوافدة من خبرات جديدة.

ثالثاً: أثبتت الدراسة أن للشعب الساوي حياة اقتصادية حيث يشتغلون بالزراعة والصناعة واصطياد الحيوانات البرية والبحرية.

رابعاً: من خلال هذه الهجرات حصل تمازج اجتماعي وتطور في الحياة الفنية والاجتماعية والسياسية.

خامساً: توصلت الدراسة إلى أن حياة الشعب الساوي الاجتماعية تسيطر عليها العصبية الإقليمية لذا نراهم متفرقين في جميع الإقليم السوداني الأوسط، وكان لنسائهم دور بارز في السلطة القيادية ومن أشهر خصائص الحضارة الساوية بناء المدن المحاطة بالأسوار وعرفوا صهر الحديد والبرونز والأواني الفخارية والخزفية.

سادساً: أثبتت الدراسة أن أول ما جاء ذكره في أغلب المصادر والمراجع التي تحدثت عن تاريخ حوض بحيرة تشاد، أن الشعوب الموجودة بهذه المنطقة هم الشعب الساوي ولكنهم لم يتوصلوا إلى الأصول الحقيقية لهؤلاء التي ترجع إليها هذه المجموعة.

سابعاً: توصلت الدراسة إلى أن القبائل الساوية من أقدم الشعوب الأفريقية التي سكنت حول حوض بحيرة تشاد، ولها حضارة أعترف بها علماء الآثار الذين أجروا عليها التنقيبات في أماكن المخلفات الأثرية للساو.

ثامناً: يعد تحديد ظهور حضارة الساو و قيامها أمراً صعباً جداً، حيث أن المؤلفات التي تحدثت عنها لم تتفق في ذلك وربما يعود السبب إلى عدم وجود كتب تركها أصحاب هذه الحضارة الساوية، لذا وجد الباحث أن معظم المعلومات التي تتعلق بهذه الحضارة تعتمد على الروايات الشفوية التي يغلب عليها دائما الطابع الأسطوري إضافة إلى المخلفات الأثرية و هي العنصر الأساسي لمثل هذه الأمور، اذاً المصدر الرئيسي هو المخلفات و اللقي الأثرية للحضارات القديمة، فالحضارة الساوية إن لم تكون مكتوبة من قبل أصحابها إلا أنها لها وجود على أرض الواقع.

تاسعاً: لدراسة مخلفات حضارة الشعب الساوي لتحديد تاريخها استخدم علماء الآثار الكربون المشع(c14).

عاشراً: أعطت الادارة الفرنسية لحضارة الساو اهتماماً بالغاً دون غيرها فأرسلت البعثات العلمية من أجل دراسة وتنقيب المواقع الأثرية وجمعت الروايات الشفوية ثم ظهرت المؤلفات.

أحد عشراً: توصلت الدراسة إلى أن أقدم مدينة أسسها الساو هي مدينة (دايما) حوالي (450) قبل الميلاد بنيجيريا و تليها مدينة (مدقا) حوالي 425 قبل الميلاد بتشاد.

اثنا عشراً: الغريب في الأمر أن هذه الشعوب الساوية لا تتحدث لغة و احدة و إنما لكل مدينة أو قرية لغة خاصة بها دون غيرها، و أن هذا الموضوع جعل الباحث يتساءل هل فعلاً أن الشعوب الساوية هي من جنس و احد أو من عدة أعراق عاشت بهذه المنطقة؟، علماً أن هذه الشعوب الساوية منتشرة في عدة دول حدودية، و الوسيلة الوحيدة التي تجمع بينها هي اللغة العربية، فالباحث يرجح أن هذه الحضارة التي تنسب إلى الشعوب الساوية هي ليست لشعب واحد و انما لعدة شعوب توافدت إلى منطقة البحيرة، و أن المسائلة متروكة للبحوث و الحفائر الأثرية القادمة لكي تجيب عليها في المستقبل.

ثلاثة عشراً: من الملاحظات الهامة على الآثار القديمة حول حوض بحيرة تشاد، أن الروايات المحلية تصفها بأنها من آثار الكنعانيين أو (أبو كنعان) سواءاً في ذلك الآثار أو المخلفات الفخارية أو الرسومات والتماثيل أو الآبار المحفورة في الصخور.

أربعة عشراً: الحضارتين لهما ترابط وتشابه في كثير من الأمور التي تجمع بينهما، مثلاً صناعة الأواني الفخارية وصناعة جرار دفن الموتى وتقديم الأضحية البشرية للآلهة من أجل دفع بلاء أو وباء سواء كان ذلك محلياً أو عدواناً خارجياً.

خمسة عشراً: أن الحضارة الكنعانية كان لها وجود في تشاد خاصة في المناطق الساحلية، وبالتحديد بمدينة أبشة وشرقها وشمالها في مدينة عراضة وضواحيها مثل (كجمر) وما جاورها، ولعل الدراسات الحفائر الأثرية في المستقبل تسلط أضواءً أكثر بخصوص هذا الموضوع.

ستة عشراً: فسرت كلمة ساو (SAO) بأنها مشتقة من كلمة (SAWE) والتي تعني (سور أو حائط) بلهجة "الكوتوكو" سكان غلفي وهذه التسمية تجرنا إلى الاعتقاد بأن كلمة ساو تعني باني الأسوار لأن أغلب مدن الساو بها سور يحيط بالمدينة من جميع النواحي.

سبعة عشراً: أن الشعب الساوي كانت له صلة بالشعوب العربية، ولأن الاسم غير ثابت هو قابل للتغيير وفقاً للتداول بين السكان المحليين والمهاجرين القادمين من الخارج، أي من خارج المنطقة، فإن مع مرور الزمن يحصل تغيير في بعض المصطلحات فالدكتور إبراهيم علي طرخان يكتبها (صو)، بينما كتبها إبراهيم صالح بن يونس الحسني (صاو)، وعندما رجعنا إلى القواميس العربية وجدنا أن كلمة (صو) تعني الفارغ، و ال(صاو) تعني اليابس.

ثمانية عشراً: عندما شهد وادي النيل كثافة سكانية للجماعات البشرية في الألف الرابع قبل الميلاد، تأسست الحضارة الفرعونية وعقبتها صراعات أدت إلى تكوين مجموعتين كبيرتين من الآسر المتحاربة، وكانت الأولى في الشمال وعاصمتها (هليو بوليس)، والأخرى في الجنوب وعاصمتها (طيبة) إذ ظهر الملك نار مر الذي تمكن من توحيد وادي النيل حتى الشلال الأول في مملكة واحدة تحت سلطانه.

تسعة عشراً: ونظراً لميزة الموقع الجغرافي لوداي النيل ومنطقة حوض بحيرة تشاد يمكننا وضع احتمالات ترشح المنطقة الأخيرة لجذب الهجرات والاتصالات في حالات السلم والاضطرابات البشرية الحربية.

الخاتمة:

نستنتج من ذلك أن هذه الحضارة الساوية قد تميزت بعدة أشياء حسب الاكتشافات الأثرية منها، الأوعية الجرارية و أقنعة تماثيل صغيرة و قطع النقود، و قد أعطيت هذه الخاصية حضارة الساو (بحضارة الفخار) و كان الحرفيون في شعب الساو يصنعون الحلي و الأساور و العقود من البرونز مستعملين في ذلك تقنية الشمع المفقودة، و من آثار الساو بمدينة قاوي التماثيل المشكلة لشخصيات بشرية المصنوعة من الطين المحروق و تختلف هذه التماثيل من منطقة لأخرى، فتماثيل مدينة قاوي كانت تصنع من البرونز على شكل شبه دائري حيث يوجد رأس تمثال بشري له قرن و احد في أعلى الرأس، و ذلك خلافاً لتماثيل بوطة البقرة التي صنعت من الطين المحروق و لها ثلاثة قرون، يذهب كثير من الباحثين إلى أن الحضارة الكنعانية و صلت إلى الأراضي التشادية في وقت مبكر منهم المفكر الكبير الأستاذ الدكتور محمد صالح أيوب رائد علم الاجتماع بتشاد، و لكن للباحث رأي آخر يؤكد فيه أن للحضارة الكنعانية وجوداً و ذلك من خلال الأحاديث المتواترة بين أفراد أهل البادية، خاصة أهل مدينة عراضة وأيضاً بقايا الشقف السوداء المنتشرة في العديد من المواقع القديمة بتلك الضواحي بالمنطقة و لعل الحفائر الأثرية بالمستقبل ستسلط أضواءً أكثر بخصوص هذا الموضوع.

و هناك تشابه و ترابط بين الحضارتين الساوية و الكنعانية، حيث عرفت المدن الساوية بالمدن المستقلة عن بعضها البعض و كل مدينة تسيير أمورها بمعزل عن غيرها و هو أمر مشترك بين الكنعانيين و الساويين، و من الأمور المشتركة بين الشعب الساوي و الكنعاني عملية دفن موتاهم، فكلا الحضارتين أو الثقافتين تدفن موتاها بداخل جرار فخارية و يدفن مع الموتى أدواتهم الخاصة بهم، و التي كانت مستخدمة في حياتهم مثل أدوات الزينة و غيرها، و تقديم الأضحية البشرية للآلهة من أجل دفع بلاء أو وباء سواء كان ذلك محلياً أو عدواناً خارجياً.

وتميزت المدن الساوية بالأسوار التي تحيط بالجهات الأربعة وأيضاً المدن الكنعانية بالأسوار التي تحيط بكل المدن الكنعانية، والتجارة هي العامل الأساسي الذي قام به الشعب الكنعاني على سواحل البحر الأبيض المتوسط بينما تميز الشعب الساوي بصناعة الفخار المحروق مما أطلق عليها حضارة الفخار (الطين).

و يشترك الشعب الساوي مع الكنعانيين في أسوار الحصون و القلاع، أما التجارة فهي خاصة بالكنعانيين، فالساو زراعيون بالدرجة الأولى دون التجارة، و تعتبر الجماعات الساوية من أقدم الجماعات السكانية حول حوض بحيرة تشاد، و عرفوا بناء المدن المحصنة و الدفاع عنها و هو أمر مشترك بين الحضارتين الساوية و الكنعانية و من الملاحظات المهمة أن الآثار القديمة حول حوض بحيرة تشاد، حسب وصف الروايات المحلية أنها من آثار الكنعانيين أو (أبو كنعان)، و يلاحظ في تلك الآثار أو المخلفات الفخارية أو الرسومات و التماثيل أو الآبار المحفورة في الصخور.

للوصول إلى معنى كلمة الساو يمكننا تتبع المسميات التي تحمل نفس هذا الاسم أو تقترب منه أو تشبهه :

ففي المنطقة الواقعة بين الري وهمذان بإيران توجد مدينة تسمى (ساوه) وينسب إليها العالم أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل بن يوسف الساوي، في صعيد مصر بنوحي مدينة البهنسا من الصعيد الأدنى بمصر هناك قرية أطلق عليها اسم ساو.

و إذا عدنا الى منطقة حوض بحيرة تشاد فإن هناك شواهد كثيرة و مختلفة أطلق عليها اسم الساو: إذ يوجد مجرى مائي يحمل اسم بحر ساو، و أيضاً مجرى أخر يسمى جولال ساو، و بالشرق خاصة في منطقة المرتفعات يوجد مرتفع اطلق عليه اسم حجر ساو.

وتوحي لنا هذه المناطق والشواهد المختلفة التي سميت باسم الساو بأن هذا الاسم يعود البشر الذين اعتادوا الهجرات والتنقلات من مكان لأخر، فربما قدوا إلى هذه المنطقة أي منطقة حوض بحيرة تشاد، وأن الأسماء قابلة للتغيير إضافةً أو حذفاً، وذلك وفقاً لاستخداماتها خلال الفترات الزمنية المختلفة.

تلك الصراعات والاضرابات والغزوات والانفصالات التي عاشتها مصر الفرعونية القديمة، لابد لها أن تحدث هجرات بشرية نحو الخارج بحثاً عن الأمن، علماً أن الشرق والشمال كانا مهددين بغزوات الهكسوس والليبيين، وكانت قوة كوش تتمركز بالجنوب، وعلى هذا الأساس فإن الاتجاه الآمن هو المنطقة الغربية لمصر وهي منطقة حوض بحيرة تشاد، ومما ساعد على ذلك أيضاً أن المصريين على حسب رأي (أركل) كانت لهم معرفة بالأقطار الأفريقية.

إن ما تعرضت له شبه الجزيرة العربية من تغير ظروف المناخ كان له أثر كبير على الموطن الأصلي للشعوب الساوية جفافاً و اجداباً فتركته المجموعات بحثاً عن أفاق جديدة تجد في خيراتها ما بدأت تفتقده من أسباب الحياة المناسبة، و قد عرفت القرون السابقة في فترة ما قبل الميلاد، و ما بعدها في أفريقيا السوداء بالقرون الغامضة، و هي التي شهدت حضارات وادي النيل، و هجرات إلى عمق القارة الأفريقية و قامة حضارات مميزة، و إلى جانب ذلك كان الفينيقيون و اليونانيون و العرب يتداولون الهيمنة على البحر الأحمر و المتوسط (خاصة في مجال التجارة)، و خلال هذه الفترة حدثت هجرات بشرية و تمازجت في جنوب الصحراء الكبرى (الأفريقية الشمالية).

وخلاصة هذه المعلومات أن هنالك هجرات حصلت في التاريخ القديم، وقد توجهت إلى عمق القارة الأفريقية التي منها حوض بحيرة تشاد، ومن بين هذه الهجرات كانت هجرات وادي النيل، وقد أشارت التنقيبات الأثرية الي أجراها علماء الآثار الفرنسيون لكل من لوبييف وماسودو في الفترة ما بين عامي (1936م -1948م) والتي أفادت مخرجاتها إلى أن هناك اتصالاً وثيقاً بين وادي النيل و منطقتي النيجر و حوض بحيرة تشاد.

التوصيات:

1-يجب الاهتمام بدراسة الحضارة الساوية والكشف الكلي لمنطقة البحيرة حتى يتم فتح الطريق والوصول للحلقة المفقودة في تاريخ تشاد القديم والتواصل بين الشرق والشمال وحوض بحيرة تشاد.

2-تعد هذه الدراسة قاعدة يمكن الرجوع إليها لأجل مواصلة البحث في هذا المجال.

3-جاءت فقرات هذه الدراسة لتشمل كل المجالات المتصلة بالبحث والمرتبطة بأثار حضارة الشعب الساوي.

4-على الجهات المسؤولة المتخصصة التعاون مع الباحثين في تنظيم دراسات علمية منظمة وإعادة تنقيب المناطق الأثرية التي تم تحديدها.

5-على الجهات المسؤولة أن تقدم الحماية اللازمة للمواقع الأثرية من التخريب والسرقة.

6-الاهتمام بالآثار الساوية من جميع الجوانب وصيانتها خاصة أنها تقع في منطقة صحراوية متعرضة للكثير من عوامل الطبيعة التي تؤدي مع طول الزمن إلى تلفها.

7-إرسال البعثات الأثرية إلى المواقع الأثرية وذلك من أجل الاستكشافات الأثرية حتى نصل إلى الحقيقة الغائبة التي توضح أهمية الحضارة الساوية بحوض بحيرة تشاد في تلك الفترة الزمنية.

8-يجب تقديم الدعم المادي اللازم للباحثين والمنقبين خاصة في مجال علم الآثار.

9-التنسيق بين الدول في إطار المؤسسات العلمية البحثية، في دول الصحراء، ولإجراء بحوث علمية لإثراء الجوانب المختلفة في إطار العلاقات الموجودة عبر الزمان والمكان حتى تكتمل صورتها.

10-لعله من المفيد إقامة معارض أثرية متنقلة بين دول الصحراء لإثبات وحدة الثقافة الأفريقية العربية.

قائمة المصادر والمراجع:

هوامش الفصل الأول:

JEAN PAUL LE BEUF ET MASSAON DE TROVBET. LA CIVILSQTION TIONDV TCHAD, 1950, PARIS,P,13 -

2-بن يونس، إبراهيم صالح، تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم، شركة البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، 1976م، ص 96.

3-ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر، جزء (1)، دار الفكر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م، ص 85.

4-طرخان، إبراهيم علي، امبراطورية برنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م، ص 14.

5-المنجد في اللغة والإعلام، المطبعة الكاثوليكية، ط36، ط22، اعلام، دار الشرق بيروت، 1997م، ص49.

6-أنيس، إبراهيم وآخرون، الوسيط، ط1، القاهرة،1972م، ص941.

7-نفس المرجع السابق، ص 494.

8-المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، مرجع سبق ذكره، ص50.

LEBEV، JPIMASSON ,D ,LACIVILZTIONTCHAD,PAYOT ,1950 ,P ,26,

10-عثمان، أحمد عثمان، أثر الهجرات البشرية في قيام حضارة الساو، بحث الدراسات المعمقة في التاريخ والحضارة، جامعة الملك فيصل، أنجمينا،2005، ص 11.

11-عثمان، أحمد عثمان، مرجع سبق ذكره، ص 12.

12-الدكو، فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم (600-1000هـ، 1200-1600م، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس،1998م، ص52.

13-وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، ج9، ط3، تاريخ مكة، دار المعرفة، بيروت، 1971م، ص50.

14-الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ص25.

15-نفس المرجع السابق، ص26.

LEBEV-OP-CIT,P12,

17- كي زيربو، جوزيف، تاريخ أفريقيا السوداء ترجمة د.عقيل الشيخ حسين، سلسلة دراسات أفريقيا (15)، ط1، الدار الجماهرية للنشر و التوزيع و الإعلام مصراته، 2001م، ص104.

18- نقلاً من كتاب الثقافة التشادية، ص33.

19- تنقو، صالح أحمد، أضواء على تاريخ السودان من داكار إلى بورتسودان، ج2،شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، 2022م،ص 75.

20- كي زيربو، جوزيف، تاريخ أفريقيا السوداء سلسلة دراسات أفريقيا (10)، ترجمة دكتور عقيل الشيخ حسين، ط1، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان،مصراته،2001م، ص 139.

21- الدكو، فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، مرجع سبق ذكره، ص54.

22- كي زيربو، مرجع سبق ذكره، ص 103.

23- كي زيربو، مرجع سبق ذكره،ص102.

24- المرجع نفسه، ص (103-104).

25-دافيدسون، باسيل، أفريقيا القديمة تكتشف من جديد، ترجمة نبيل بدر و سعد زغلول، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، (ب،ت،ن)، ص24.

26- عثمان، أحمد عثمان، مرجع سبق ذكره ص21.

27- نفس المرجع السابق ص21.

28- عصفور، محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1981م ص (99-100-105).

29- الفنادي، صلاح الدين محمد،وآخرون، تاريخ الوطن العربي و حضارته في العصور القديمة، 1998م، ص (158-159).

30- جان مازيل، تاريخ الحضارة الكنعانية، ترجمة ريا الخش، ط1، دار النشر و التوزيع اللاذقية 1998م، ص 170.

31- الميار، عبد الحفيظ فضيل، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، 2001م ص 230.

32- بيومي، مهران محمد، مصر و الشرق الأدنى بلاد الشام، دار المعارف الجامعية الأسكندرية، 1990-م، ص (83-86).

33- أيوب، محمد صالح، الدور الاجتماعي و السياسي للشيخ عبد الحق الترجمي في دار وداي /تشاد (1853-1917)، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / طرابلس، 2001م،ص 34.

34- عثمان، أحمد عثمان، أثر الهجرات البشرية في قيام حضارة الساو، بحث الدراسات المعمقة في التاريخ و الحضارة، مقدم لجامعة الملك فيصل، 2005م، ص 55.

35- نفس المرجع السابق ذكره ص 45.

36- يوسف، عبد الرحمن عيسى، جزور العلاقات التاريخية التشادية السودانية من انهيار مملكة مروي إلى قيام دولة الساو في حوض بحيرة تشاد من (350-700م) رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة أفريقيا العالمية ص (50-51).

37- آدم، يوسف شعيب، أصل شعب الساو و حياتهم الاقتصادية و الاجتماعية، بحث مقدم إلى جامعة أنجمينا قسم التاريخ العربي 2000م، ص51.

38- نفس المرجع السابق ذكره ص 17.

هوامش الفصل الثاني:

1-ماجة، محمد أبكر، سلطنة لوغون الاسلامية تاريخها و حضارتها ما بين القرن السابع عشر و العشرين الميلادي، بحث مقدم لنيل الدراسات المعمقة في تاريخ الحضارة، جامعة أنجمينا،2002م، ص 22.

2-أمينة الشيخ و آخرون موقعة قاوي الأثرية، بحث مقدم لجامعة أنجمينا، قسم التاريخ العربي 2013،ص 42.

3-زكريا،حسن قاسم، الصناعات الخزفية في قاوي، بحث مقدم لدرجة الميتريز في التاريخ و الحضارة، جامعة أنجمينا، 2004م، ص 15.

4-نفس المرجع السابق ذكره، ص 17.

5-أحمد إبراهيم العباس و آخرون، مخلفات شعوب الساو الأثرية، بحث التمكن من الميتريز في التاريخ القديم العربي، مقدم إلى جامعة أنجمينا 2008، ص 18.

6-مرجع سابق ذكره، يوسف، عبد الرحمن عيسى، ص 160.

7-مرجع سبق ذكره عبد الرحمن عيسى يوسف، ص 161.

8-عبد الرحمن عيسى يوسف، مرجع سبق ذكره، ص 151.

9-نفس المرجع السابق، ص 152.

10-نفس المرجع السابق ص 153.

11- نفس المرجع السابق ص 154.

12- الضي، أبوبكر عبد الرحيم محمد، رسالة ماجستير بعنوان الحياة الفنية الساوية من خلال آثار مدينة قاوي بحوض بحيرة تشاد (2015-2016م) الأكاديمية الليبية، رسالة غير منشورة، ص 87.

13- نفس المرجع السابق، ص 88.

14- نفس المرجع السابق، ص 89.

15- يوسف، عبد الرحمن عيسى، مرجع سبق ذكره ص 51.

16- نفس المرجع السابق ص 146.

17- نفس المرجع السابق ص 147.

18- نفس المرجع السابق ذكره ص 148.

19- نفس المرجع السابق ذكره ص (147-148).

20- نفس المرجع السابق ذكره ص 149.

21- نفس المرجع السابق ص (148-149).

22- يوسف عبد الرحمن عيسى، مرجع سبق ذكره ص 149.